مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

طوبونيمات بعض الأولياء الصالحين بتلمسان في القصص الشعبي

(دراسة أنتربولوجية)

Toponyms of some of the Righteous Saints of Tlemcen Through Folk Tales (Anthropological study)

نجراوي فاطمة الزهراء[1] *

[1]مركز البحث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ (مركز الدراسات الأندلسية)

ave_tema@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2021/02/03 تاريخ القبول: 2021/05/05

ملخص:

يتناول ويهتم البحث الطوبونيمي بدراسة معنى وأصل أسماء الأماكن والتطورات التي طرأت على هذا الاسم عبر الزمن، وتعد عملية انتقال الطوبونيمات عن طريق الثقافة الشفهية ظاهرة معروفة منذ القدم يتداولها الناس من جيل إلى آخر وتتداول عادة في الأمثال والأغاني والنكت والألغاز، أو في القصص الشعبي الذي يعتبر أحد أشكال التعبير الأدبي الشعبي ويضم مجموعة من الفروع التعبيرية من بينها الحكاية الشعبية هزلية كانت أو خرافية أو أسطورة، وتتمثل في روايات صغيرة تعليلية تتضمن مواضيع مختلفة. فسنحاول في هذه الورقة عرض بعض الأمثلة عن أسماء الأماكن في منطقة تلمسان التي لها علاقة بالأولياء الصالحين أو بما يدعى الهجيوطوبونيم والروايات القصصية المنسوجة حول كرامات الأولياء والتي كانت سببا في التسمية في محاولة لتبيان دور القصص الشعبي في تثبيت تسمية الأماكن في الذاكرة الجماعية وبالتالي الحفاظ على الهوية والتراث الوطني والانتماء الديني، وما إذا كان قد طرأ على هذه الطوبونيمات تغييرات في التسمية من قبل الهيئات الإدارية.

الكلمات المفتاحية: الطوبونيمات، القصص الشعبي، الأولياء الصالحين، الهجيوطوبونيم، منطقة تلمسان.

Abstract:

The process of transmission of toponyms through oral culture is a known phenomenon since ancient times that people circulate from one generation to the next and usually circulate in proverbs, songs, jokes and riddles, or in folklore, which is considered one of the forms of oral folk expression and

* **المؤلف المرسل:** نجراوي فاطمة الزهراء، **الايميل:** ave_tema@yahoo.fr

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

includes a group of expressive branches, the most important of which is the folk story whether comic or myth. It is represented in small explanatory stories and in various topics. In this paper, we will try to present some examples of place names in the Tlemcen region that have relationship with the righteous saints or which called hagiotoponyms, and the popular tales woven around them which were the reason for naming, and trying to show how folk tales are fixing the names in the collective memory and thus preserving the national and islamic identity and heritage, and whether these places have undergone changes in the naming by the administrative staff.
Keywords: Toponyms, folk tales, righteous saints, hagiotoponym, Tlemcen region.

مقدمة:

إن الطوبونيمات الغنية بالروايات الشفهية والحكايات ولدت وتطورت في ثقافة ريفية وفقدت شفافيتها ووضوحها باختفاء المجتمعات الريفية وتجمدت في أسماء مبهمة؛ ويفترض بمن يدرسها مواجهة صعوبة بناء المحيط الثقافي للكشف عن المعنى عبر سنوات عديدة في التاريخ. (Riesco Chueca, 2012, 55)

وتتميز القصة الشعبية بالشفاهية المتوارثة عبر الأجيال، والتي تم نقلها من قبل رواة بطريقة تشمل التسلية والمتعة والحكمة، وبعفوية في الإلقاء وأمانة في الأداء (محمد حسن عبد الحافظ، 2008، ص62).

والجدير بالذكر أن معظم الطوبونيمات أو أسماء الأماكن عند دراستها ومحاولة كشف الغطاء عن كنهها تفضي إلى علاقة وطيدة بالقصص والأساطير والروايات الشفهية التي منها ما هو مستمدة من الواقع وأخرى مجرد خيال ولدت وتطورت في سالف الأزمان في ثقافة ريفية كان يغلب عليها نمط العيش البسيط والتقليدي، فانتقل هذا الإبداع الشعبي الغني من جيل إلى آخر وفي وقت مضى لم يكن هناك وسائل الإتصال الحديثة كالتلفاز والهاتف النقّال ولا حتّى الحاسوب، (Martínez Ezquerro, Martos García, 2018,37)

فبالتالي لا يمكن الإغفال عن أهمية القصص الشعبي وبعض الموارد الشفهية ودورها في تحليل وتفسير بعض الطوبونيمات وفك شفرتها ومعرفة أصل تسميتها، ذلك لأن القصة تعطي مجموع المضامين والدلالات التي تكون كافية في إعطاء مصداقية للطوبونيم (Gaspar J. Cuesta Estévez, 2014, 21).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما تتجسد القصص الشعبية في العديد من أسماء الأماكن وتتداول بين أهالي المنطقة على طريقتهم الخاصة بهدف تعليمها للأجيال القادمة وحتى التعبير عن المشاعر الدينية.

ومن بين هذه القصص، قصص الأولياء الصالحين والتي يصنفها عبد الحميد بورايو إلى صنفين فرعيين:

القصص المتعلقة بكرامات أقطاب المتصوفة المعروفين والتي يرويها رواة محترفون، والقصص المحلية التي تنفرد بها كل قرية أو مدينة أو منطقة معينة والتي تروي كرامات أولياء محليين من أبناء المنطقة عن طريق رواة ينتمون أيضا لنفس البلدة أو الجهة قصد الافتخار بأبناء منطقتهم والذين يمثلون جزءا من تراثهم (عبد الحميد بورايو، 2007، ص128)؛ ولكن في بحثنا هذا لن نتطرق إلى هذا التصنيف لأنه ليس هدف ولا محور الدراسة.

فسنعرض في هذه الورقة نماذج من طوبونيمات بوسط مدينة تلمسان وأخرى بضواحيها أي في القرى، كما تجدر الإشارة إلى أنه اعتمدنا أحيانا في هذه الدراسة على العمل الميداني من خلال المقابلات التي أجريناها مع أهالي المنطقة للتعرف على الروايات المحلية التي تتناول معجزات الأولياء والصلحاء والتي تكون أصل في تسمية المكان. وبالتالي نهدف من خلال هذا البحث إلى معرفة خلفيات ودواعي هذه التسميات، وماهي علاقة تسمية المكان بالقصص الشعبية الخاصة بالأولياء الصالحين؟ وهل خضعت هذه الأماكن المسماة بأسماء الصالحين والمقدسة إلى تحريفات وتشويهات بعد الاستقلال إلى يومنا هذا؟ وما إن استبدلت هذه الهجيوطوبونيمات بأسماء الشهداء كحال بعض الطوبونيمات؟

1. مفهوم الطوبونيميا:

الطوبونيميا هو مصطلح إغريقي مركب من لفظين "طبو" وتعني مكان، و"أونوما" وتعني اسم. ويترجم هذا العلم إلى الطوبونيميا أو المكانية أو علم المواقعية في اللغة العربية.

إن الغرض من الدراسة الطوبونيمية هو التعرف على أصل تسمية مكان ما؛ فبدون التسمية يكون الإنسان مضطرا في كل مرة إلى وصف المكان بميزاته والطابع الغالب عليه. وتكون هذه التسمية مرتبطة أساسا إما مع جغرافية المكان، وإما مع نوع النبات أو الحيوان الذي يكثر تواجده بذلك المكان، وإما مع أسامي تربط الشعوب بأراضيهم من قبائل أو عائلات أو حتى أسماء لأولياء صالحين انتقل اسمهم إلى ذلك المكان (Atoui Brahim, 2005, 30).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كما أن الطوبونيميا هو علم لساني يهتم بدراسة معنى وأصل أسماء الأماكن والتطورات التي طرأت على هذا الاسم عبر الزمن. فالعلاقة بين الاسم والمكان أي الدال والمدلول تنقل أحداثا جرت في الماضي وتكشف عن علاقة الإنسان بذلك المكان.(Foudil Cheriguen, 1993, 19)

كما أن أسماء الأماكن تمثل جزء لذاكرة الشعوب، إذ أن التسمية قد ترتبط بذكرى ما في الماضي وتساعد على إحياء تاريخٍ مضى (Atoui Brahim, 2005, 34). فالتسمية لا تعتمد فقط على المكان بل حتى على الزمان، فهي رسالة تنقل معلومة عن فكرةٍ سادت في ذلك الزمان؛ وبالتالي الاسم هو رمز يحمل في طياته حقائق عن ذلك المكان (Atoui Brahim, 2005, 48).

يرى ألبار دوزا أن الطوبونيميا نظام في اللسانيات باعتبارها علما للغة بصفة أدق، وهو يبحث في وصف وشرح الألفاظ التي ساعدت ومازالت تساعد على تعيين جوانب الطبيعة في علاقتها مع الوجود الإنساني (Atoui Brahim, 2005, 08).

وتدرس الطوبونيميا تسمية المكان إما من الناحية التاريخية، أو الجغرافية أو الأنثروبولوجية، أو الدينية العرقية. (Atoui Brahim, 2005, 87).

2. الأصناف الرئيسية للطوبونيميا:

في الدراسة الطوبونيمية تصنف أسماء الأماكن إلى عدة أصناف منها:

- **الهيدرونيم**: Hydronyme ويطلق على أسماء الأماكن التي لها علاقة بالماء (عين، بئر، واد، منبع، نهر، حمام.) (Naftali Kadmon, 1997, 12)

- **الأورونيم**: Oronyme تخص أسماء الأماكن التي لها علاقة بالتضاريس مثل: جبل، هضبة، تل...(Foudil Cheriguen, 1993, 72).

- **الهجيوطوبونيم**: Hagiotoponyme وتخص أسماء الأماكن التي لها علاقة بالأولياء الصالحين والقديسين).(Naftali Kadmon, 1997, 34)

- **الأودونيم**: Odonyme ويخص أسماء الطرقات والشوارع والدروب.
(Naftali Kadmon, 1997,17)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أما أسماء الأماكن التي لها علاقة بالنبات والحيوان فتدخل تحت صنف الطوبونيميا الجزئية أي (Farid Benramdane- Atoui Brahim, 2005,45).

3. الطوبونيمات التي لها علاقة بالأولياء الصالحين بمنطقة تلمسان

تأخذ فكرة التقديس أشكالا وأنواعا مختلفة حسب الزمان والمكان فلا يوجد شعب من الشعوب إلا ويربط تسمية مدينته بشخص مقدس يحبذ الحفاظ عليه (Atoui Brahim, 2005,119).

إن الوليّ الصالح هو الشخص القريب من الله، كما يقال عنه العارف بالله، أما في العامية فيقال له الوالي أو المرَابَط، ويرتبط أسماء هؤلاء الصالحين بكلمة سيدي. ويكثر بالقرى وحتى المدن أضرحة الأولياء الصالحين. ومعظم هذه الأضرحة تبنى وتحاط بالكركور، وهو نوع من الأحجار ويصبح مكانا للزيارة والتقديس(Emile Dermenghem, 1954, 24).

وكثير ما توجد العلاقة بين القديسين والأماكن المقدسة، فقد يتوالى عبر العصور قديسون من مختلف الديانات، وقد يأخذ أحدهم مكان الآخر –كالقديس المسلم(الولي الصالح) مثلا في بعض الحالات يأخذ مكان القديس النصراني أو الرب الوثني– وبالتالي يتعاقب على ذلك المكان المقدس الذي يعود تاريخه إلى ما قبل التاريخ مختلف الديانات عبر العصور(Emile Dermenghem, 1954, 24).

فالقديس أو الولي الصالح يكون إما رجلا عابدا وناسكا سكن بالمكان الذي دفن فيه أو ربما وليا غير معروف له لقب. فتصبح أماكن دفن هؤلاء الصّالحين مقدّسة، ونجد الكثير منها موزعا عبر أماكن مختلفة بالجزائر(Emile Dermenghem, 1954, 24).

واسم المرابط بالجزائر يعطى للقديس الحي أو الميت وإلى خليفته أو لبعض الأماكن المقدّسة التي تعود إلى ما قبل التاريخ كالمغارة والهضبة والغابة والجبل ...الخ (Emile Dermenghem, 1954, 34).

✓ دلالة سيدي: (Sidi)

إذا كان المظهر الديني مرتبطا بالحياة الاجتماعية فمعنى ذلك أن طابع تعدد الآلهة السابق للديانات المنزلة قد مهد الطريق، وإذا كان للفظ سيدي علاقة باللغة العربية الفصحى فإنه يبقى منحصرا في الإطار اللغوي الخاضع لعلم المعاني. وبالتالي فإن المدلول الذي ترمي إليه كلمة سيدي ليس بالضرورة مدلولا متعلقا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بالدين الإسلامي فحسب، فمدلولها في غالب الأحيان يبتعد عن هذه الديانة كقرينتها اليهودية والمسيحية ليقترب كما هو الحال في العرف البربري من المعتقدات الشركية(Foudil Cheriguen, 1993, 118).

وكلمة سيدي نجدها دائما مقترنة بأحد أسماء القديسين مثلما هو الحال في سيدي بومدين وسيدي الحلوي وسيدي موسى ...

- **سيدي بومدين:**

تقع قرية سيدي بومدين جنوب شرق بلدية تلمسان. وتدعى كذلك برِباط العُبَّاد أو العبّاد، وذلك لانه فيما مضى كان هذا المكان رباطا يجتمع به النساك والزهاد والمتبتلون قصد عبادة الله (حاج محمد بن رمضان شاوش، 1995، ص278).

أما بخصوص تسمية سيدي بومدين: فهي تعود على الولي الصالح، شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي الذي ولد ما بين سنة 1121 أو 1130م في قنطيانة وهي قرية تابعة لإشبيلية بجنوب إسبانيا (Abbè Bargès, 1884, 01).

أخذ العلم بفاس من الشيخ أبي حسن علي بن حرزهم ودرس كتاب السنن في الحديث للإمام الترميذي ودرس العلوم الصوفية على الشيخ الصالح أبي علي الدقاق والشيخ أبي يعزى وهما من كبار مشاييخ الصوفية، فكان شديد الحرص على العبادة والتقرب من الله، فتنقل متدرجا في كل المراتب الصوفية حتى بلغ مرتبة القطب والغوث. (Abbè Bargès, 1884, 10).

وبعد أن مكث عدة أعوام بفاس انتقل إلى مكة، (Abbè Bargès, 1884, 12-13).
ولما عاد استقر ببجاية ناسكا نسكا شديدا، وكثر تلاميذه وبركاته عليهم (ابن خلدون، 1981، ص126).

ولما اشتهر أمره وعلا صيته في مقام الولاية سعي به عند خلفاء يعقوب المنصور بن يوسف العسري بن عبد المومن بن علي بمراكش، فأمر السلطان بمغادرته لبجاية (حسين الفارسي،2005، ص25).

فسافر الشيخ إلى أن وصل إلى تلمسان وعند رؤيته لمنطقة العبّاد قال لرفاقه:" ما يقال لهذا المكان ؟ " فقيل له العبّاد فقال "أي موضع هو للرقاد؟"(Abbè Bargès, 1884,64) فسرعان ما تلفظ بهذه الكلمات اشتد عليه المرض بضفاف وادي يسر وكان أخر كلامه : " الله الحق " ثم فاضت نفسه سنة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

554 هـ - 1197 م(Abbè Bargès, 1884, 65)، ودفن بالعبّاد المشهور كضريح للزائرين وانتقل اسمه إلى القرية.

- **سيدي الحلوي:**

تقع قرية سيدي الحلوي في الشمال الشرقي لبلدية تلمسان، وسميت كذلك نسبة إلى الولي الصالح و«العالم الصوفي الشيخ أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بسيدي الحلوي إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين نزيل تلمسان.» (ابن مريم الشريف المليتني، 1908، ص68).

الشوذي: تنسب إليه الشوذية وهي طريقة صوفية تشبه طريقة ابن عربي إلا أنها أكثر إيجابية (المقري، 1997، ص 260-261).

كان في أول أمره من فقهاء مرسية (Murcia بلدة في اسبانيا) ثم وُلِّيَ سيدي الحلوي القضاء باشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن، ثم فرّ بنفسه من القضاء وباع كل أملاكه وتصدق بها على المساكين، وآوى إلى تلمسان في زي المجانين (Brosselard CH, 1860, 162). أما بخصوص تلقيبه بسيدي الحلوي فذلك لأنه كان يبيع الحلوى ويتصدق بثمنها على المساكين(ابن خلدون، 1980، ص 128).

ويحتمل أن الولي غادر بلده ورحل إلى تلمسان في الثلاثين من عمره، وعاش 40 سنة أخرى وتوفي في سنة 705 هـ (Brosselard CH, 1860, 170).

حدث الإمام « أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة، أنه رأى هذا الشيخ يبيع من طبق العود في يده حلواء للصبيان الصغار وينشد فلم يُشك أنه من الصّلحاء. »(ابن خلدون ،1980، ص127).

كان قصد سيدي الحلوي من بيع الحلوى وتغنيه بالأناشيد الدينية جلب الناس لتعليمهم الدين الإسلامي وأركانه والقران الكريم (Brosselard CH, 1860,168.).

كما تروي حكاية تجري على ألسنة الكثير من أهالي تلمسان أن السلطان يغمراسن ابن زيان كلف سيد الحلوي أن يُعطي دروسا لولديه الأميرين. فكان الأميران بعد عودتهما إلى القصر وقت الغداء لا يرغبان في الأكل بالرغم من أنه يُجلب لهما أشهى وأطيب الطعام الملكي، فاستغرب من ذلك السلطان وسألهما عن السبب فقالا أنهما غير جائعين. لكنه أكد على معرفة السبب فأخبراه أن معلمهما يملك قوة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خارقة إذ يكفي أنه يلتمس الحائط بأظافره فيسقط فتات الجبس فيتحول إلى طعام شهي بذوق العسل لم يُأكل طعاما بلذته من قبل، فهو يشبع جوعهما ويعطيهما قوة للعمل، فلهذا لما يرجعان إلى القصر لا تكون لهما رغبة في الأكل (Brosselard CH. 1860, 170).

فتحيّر السلطان في الأمر وتحت تأثير غيرة الوزير أكد له أن الشيخ ظهر على صفته الحقيقية فهو ساحر وتظاهر بأنه ولي صالح. وعندها أمر السلطان نقله خارج الجدران بالمكان الذي يوجد اليوم ضريحه فقُطع رأسه ولم تدفن جثته وتُركت كذلك لكي تلتهمها الحيوانات. وفي المساء حين وقت أذان العشاء سمع البوّاب بينما هو يقوم كالمعتاد بجولته في المدينة صوتا يقول: يا بواب أغلق الباب واذهب إلى النوم لم يبق أحد خارجا إلا سيدي الحلوي المظلوم، فاتجه فازعا لتبليغ السلطان بذلك فانتقل السلطان إلى الباب للتأكد بنفسه من الأمر فسمع نفس الصوت وعرف أن الوزير هو الكاذب، فأهدى خاتما من اللؤلؤ إلى البواب أما الوزير فقُتل بالقرب من سيدي الحلوي الذي بني له ضريحا على أيادي الأهالي (Brosselard CH, 1860,170-171).

إن الحكاية المذكورة أعلاه هي مجرد أسطورة، فقد جاء في بغية الرواد أن الشيخ سيدي الحلوي وابن المرأة كانا يأويان إلى كهف خارج "باب كشوطة" للعبادة والتبتل لله تعالى إلى أن مات الشيخ ودفن خارج "باب علي" وقبره الآن مُزار رحمة الله عليه ورضوانه (ابن خلدون، 1980، ص128).

- **سيدي بو اسحاق:**

هو ابراهيم الغوث يكنى بأبي اسحاق الطيار ويقع ضريح هذا الولي الصالح في حي يدعى "سيدي بو اسحاق" المتواجد بالقرب من حي العباد، فقيل أن " أبو إسحاق الطيار لم يضطجع أربعة وعشرين سنة قائما بالليل صائما بالنهار، توفي قبل كمال السبعمائة، معروف بإجابة الدعاء عند قبره رضي الله عنه، و نفعنا به." (ابن مريم الشريف المليتي المديوني، 1908، ص 126).

وأما عن أصل تسميته بالطيار فتعزى إلى الحكاية الشعبية التي مفادها أنه كان يعرف بقدرة تحليقه في السماء كالطائر وحتى عبوره من فوق مياه البحار. (Alfred Bel, 1938, 68).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- **سيدي موسى:**

تقع قرية سيدي موسى جنوب بلدية السواحلية. وسميت كذلك نسبة إلى ضريح الولي الصالح "سيدي موسى" المتواجد بالمنطقة (Francis llabador, 1948, 480).

فهو سيدي موسى العنبري المعروف بالساحل، " أصله من بني زيان فاسمه سيدي موسى بن أحمد ابن العباس بن محمد بن حمو بن سعيد بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن يندوس بن أطاع الله بن علي بن يصل بن ينروجن بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نص الشيخ ابن عبدوس وابن خلدون. قال التنسي لا خلاف في شرف بني زيان وإنما الخلاف فيمن تناسلوا منه فقال بعضهم أنه من ذرية محمد بن إدريس ومنهم من قال أنهم من ذرية أحمد بن إدريس ومنهم من قال أنهم من ذرية القاسم ابن إدريس ومنهم من قال أنهم من ذرية القاسم ابن محمد بن عبد الله بن إدريس وهذا هو الصحيح ومنهم من قال أنهم ذرية عبد الله بن إدريس وهذا صحيح أيضا."(العشماوي، 1961، ص272).

يقال أن أصل سيدي موسى من الأندلس جاء بعد هجرة العرب من الأندلس واستقر بجامع الغزوات(وبالضبط بالسواحلية). فاختار الولي الصالح هذا المكان وكان كثيرا ما يتردّد إليه متبتلا فيها للعبادة والتّنسك (Francis Llabador, 1948,482).

فكان الأهالي يرونه أحيانا من أعلى ضيعتاهم إما يقوم بصلاته في آخر النهار أو جالسا قرب الخليج الصغير يتأمل طيران الحمام البري أو خيال لقوارب في عرض البحر. وذات يوم عثر على جثته ملقاة على الأرض في المكان الذي كان يعتاد الجلوس فيه للتعبد والتزهد فدفن بذلك المكان (Francis Llabador, 1948, 482).

انتقل اسم هذا الولي الصالح إلى هذه القرية فأصبحت تعرف بسيدي موسى.

- **سيدي عبد الرحمان:**

يقع حي سيدي عبد الرحمان، جنوب مدينة ندرومة وينسب في تسميته لولي صالح يعرف بسيدي عبد الرحمان. "فهو سيدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان اليعقوبي من أولاد يعقوب بن طلحة، صاحب كرامات عديدة رضي الله عنه." (ابن مريم الشريف المليتي، 1908، ص 238)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن كراماته حسب ما نقله ابن مريم الشريف المليتي،" أنه عقد الصلح بين أولاد طلحة بترارة، وإذا بفارس من أولاد طلحة قال له: لا نصطلح، فاغتاظ الشيخ ووادي تافنة حامل ودخل فيه وانقسم الوادي حتى جاز الشيخ وأصحابه رجالا، قطعوا الوادي بسباطهم، وانحصر الوادي حتى جاز هو وأصحابه وتبعه الناس، وقطعوا خلفه حتى ردوه وصار الوادي يجري." (ابن مريم الشريف المليتي، 1908، ص 239).
ويقال أنه بفضل هذه الأعجوزة انتقل اسمه لهذا المكان.

- **لالا ستّي:**

سميت هذه الهضبة "لالا ستي" نسبة إلى ولية صالحة تعددت أسماءها، فيروى أنها بنت الشّيخ عبد القادر الجيلالي، وهو أحد الأولياء الصالحين المشهورين والمقدّسين في العالم الإسلامي الذي ينحدر من سلالة الرّسول (صل الله عليه وسلم)، فقدمت من بغداد لتستقرّ بتلمسان، وعاشت خلال القرنين السادس والسابع ميلادي.

ويذكر أنّ إسمها الحقيقي هو "الضّاوية" سمّاها أبوها كذلك نسبة إلى الوليّة الصالحة الجليلة لمدينة البصرة المدعوّة ربيعة الضّاوية(Hassaine Daouadji Dalila, 2011, 102).

قام عبد القادر الجيلالي، بتدريس ابنته وتعليمها شتّى العلوم، وحثّها على العبادة ومحبّة الله، فوفّر لها أحد أكبر المشايخ النابغين في العلم ومنهم، الشيخ أبو مدين شعيب الأندلسي. ولكثرة اِجتهادها منح لها شهادة من قبل مدرسيها، حتى تسمح لها بتدريس الإعجاز القرآني. ونظرا لشغفها وحبها لدينها، قرّرت الضّاوية وإخوتها القيام بِفريضة الحجّ، فغادروا بغداد ووصلوا يثرب بِاتجاه مكّة المكرّمة، وعانوا من صعوبة الرحلة لطول المسافة، فما ساعدهم للوصول إلى البقاع المقدّسة سوى كثرة دعاء الضّاوية، حيث كانت تعرف باستجابة دعائها، فمنذ ذلك الوقت سميت بِاسم آخر ألا وهو "الوسيلة"(Hassaine Daouadji Dalila, 2011, 80) ، فبعد اِنتهاء مناسك الحج، قررت 'الضّاوية الوسيلة' البقاء هناك لتزويد معارفها في الإعجاز القرآني والعلوم الأخرى، فكانت تتعبّد في المساجد وتعتزل في غار حراء لوقت طويل، وقامت في عودتها بنشر الإسلام في كثير من البلدان،(Hassaine Daouadji Dalila 2011, 107) ، وبعد مرور سنوات توفي والدها، وبكت فُراقَهُ، حيث كانت تجلس بالقرب من قبره لتقرأ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

القرآن ترحّما عليه، فيروى أنّه ذات يوم بينما كانت تقوم بتلاوة القرآن، غاصت في نومها، وحلمت أنّه أمرها بالذهاب إلى أرض بلاد الصالحين ألا وهي مدينة تلمسان.

فغادرت 'الوسيلة الضاوية' بلادها متجهة إلى تلمسان، وكانت تتعبّد في الهضبة حتّى وافتها المنية، فحملت إسمها، وأقيم لها بالمكان قبّة يقصدها الزّوار من مختلف أنحاء القطر الجزائري و بجانبها مسجد صغير، وبذلك أصبحت تشكّل معلما تاريخيا(Hassaine Daouadji Dalila, 2011, 90).

أمّا بخصوص معنى كلمتين لالا وستي: فإنّ الأولى أمازيغية، بمعنى "إمرأة مقدّسة، قدّيسة" وما يقابلها بالمذكر سيدي، فيعتبر جذر الكلمة "لاّ" أمازيغي، الذي يحيل إلى إسم الماء، أما دلالة كلمة ستّي فهي مختزلة من كلمة سيّدة باللّغة العربية (Farid Benramdane, 2008, 112).

- **لالا مغنية:**

سميت هذه المنطقة الواقعة في الحدود المغربية؛ مغنية أو "لالا مغنية"، نسبة إلى ولية صالحة وامرأة طاهرة، عاشت في بداية القرن التاسع عشر، كان يزور ضريحها أهل تلمسان قبل ذهابهم إلى مدينة فاس المغربية، فأصبحت المدينة مركزًا للتبادلات التجارية ومركزًا اسلاميا. (Foudil Benabadji 2003, 363).

وكانت الولية الصالحة طيبة القلب، وعذراء ومحاربة، ترتدي زيّ الفلاحة، كانت تصاحب الوضعاء كي تعرف معاناتهم وبؤسهم، وتزور المقابر لكي تلتقي بالأيتام الصغار، حتى تخفف عنهم، وتدافع عن الأبرياء، وفي مكان يدعى "قصور" كانت تقيم العدالة، وتُخزي المذنب. فأصبحت الولية الصالحة بفضل المعجزات والكرامات محبوبة بين أوساط السكان. ومن الحكايات الشعبية المروية عنها أنه ذات يوم نهب اللصوص مطامير زاويتها، وبعد أن علمت لالا مغنية بذلك جددت بها الذخيرة كما كانت من قبل بفضل بركتها وكراماتها، وكانت تعتبر زاويتها أفضل من قصر، وهي بمثابة ملجأ لإطعام واستراحة القاصدين من مساكين وأغنياء. (Foudil Benabadji , 2003, 363).

ويذكر أن لالة مغنية كانت تحج باستمرار سنويا تذهب مع قوافل الحجاج، وفي إحدى المرّات توقفت القافلة في هذه المنطقة، فأثارت الولية بها إعجابا شديدا، وعندما عادت من الحج قرّرت البقاء في هذا المكان والإقامة فيه (السيدة عشماوي،2017). وفعلا بقيت فيه حتى موتها، ودفنت في القبة التي منحت

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

اسمها للمنطقة. وكان قبرها محاطاً بمقابر أخرى يقال عنها أنها كلها لحفيداتها. (Foudil Benabadji, 2003, 363).

- **لالا تلمسان:**

نالت تلمسان الإعجاب العديد من الشعراء وتغنى بها أمثال الشيخ ابن خميس وابن مسايب وبن تريكي، وحتى المؤرخين منهم العلامة ابن خلدون، إلا أن في هذا الشعر يتغزل بها الشاعر الأمير عبد القادر وكأنها امرأة، فيقول:

عندما رأتني تلمسان أعطتني يدها لأقبّلها أحببتها كالطّفل الذي يحب قلب أمه

أزلت الحجاب الذي كان يغطّي وجهها الطويل، واشتدّت فرحتي فكانت خدودها حمراء كفحم ساخن

كان هناك في تلمسان كبار العلماء لكنها لم تعرهم اهتماما

خفضت رموشها الطويلة الجميلة، وأدارت رأسها ثم ابتسمت لي وحدي، وأصبحت أسعد السلاطين.

أمسكت بها من الخلد المتواجد على خدها وقالت لي: خذني معك

.(Corneille Trumelet, 1892, 481)

وجاء في كتاب للأساطير، أن ولية صالحة أتت من تلمسان إبّان الاستعمار، للزاوية التحتانية في "تاغيت" بولاية بشار، كانت تدعو مع الناس وتحقّق لهم كل أمنياتهم، فكانوا يقدّسونها و يوقّرونها، وذات يوم أصابها مرض أدّى إلى وفاتها، فدفنها العرب بالطريقة التي يعتاد عليها في الدّفن على ظهرها، فبقى الناس يزورون قبرها، و كان يستجاب لدعوات كل من قصدها، و عندما وصل الخبر إلى النّصارى، تعجبوا خاصة عندما كان ينتصر العرب عليهم، فاتجهوا بالغيرة نحو قبرها، و قلبوها على وجهها، و منذ ذلك الوقت نقصت تلبية الدعاء، و رغم كل ما جرى لم يتوقف الناس عن زيارة قبرها و لم ينسوها، إذيقومون بترميم قبرها بالجير كل سنة، و من كثرة تمسّكهم بها وحبّهم لها ألّفوا لها أغنية، حتى تبقى راسخة في قلوبهم:

لالا تلمسان فاجي ضري بخير تكون حية نجيك لباس عليا

(عبد الرحمان بوزيدة، 2005، ص 55).

فهنا يكمن السر كيف من الممكن أنها غادرت مدينتها وذهبت للعيش في مدينة بشار حتى وافتها المنية، فسوف نترك هذا المجال لبحوث مستقبلية أكثر تعمقا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

4. خلاصة:

ومما نخلص إليه من خلال عرضنا للطوبونيمات التي لها علاقة بالأولياء الصالحين بمنطقة تلمسان هو أن جلها قد احتُفظت تسميته منذ القدم كما أن القصص المروية عنها تبدو لحد ما مترسخة ومتوارثة من جيل لآخر وتعكس هوية المجتمع وكذا تراثه الوطني والديني، وعليه فإن أسماء الأماكن عموما ليست مجرد أسماء لمسميات فحسب بل هي رموز للهوية والثقافة والأصل. أما بخصوص تساؤلنا عما إذ تم تغيير أسماء هذه الأماكن أو استبدالها بأسماء الشهداء كجزء من سياسة تغيير الأسماء الجغرافية الفرنسية من الاستقلال إلى يومنا هذا فقد تبين لنا أنه لم يتم تغييرها بحسب الوثيقة الرسمية لتسمية الشوارع والأحياء والأماكن العمومية بمدينة تلمسان والمتضمنة مداولات المجلس الشعبي البلدي رقم 154 بتاريخ 23 ماي 1988، الذي تم من خلالها تثبيت تسميات الأماكن المسماة بالأولياء الصالحين، إلا أننا لاحظنا أنه تخلل بعض الهجيوطوبونيمات تغيير طفيف يتمثل فيما يلي: سيدي الحلوي (البالي)، وسيدي الحلوي (الجديد)، سيدي بومدين (الجديد)، وسيدي بومدين (البالي).

وعليه فلم تخضع هذه الأماكن إلى استبدال بأسماء الشهداء، فالأسماء الأجنبية التي عُينت من قبل السلطات الفرنسية إبان الاستعمار الفرنسي هي التي غُيرت بأسماء عربية وأغلبها بأسماء الشهداء وهي ذات بعد وطني مرتبط باللغتين العربية والأمازيغية، وذلك لترسيخ الأسماء التي شُوهت وزُيفت معالمها في فترة الاستعمار الفرنسي. والجدير بالذكر أن تسمية الأحياء والشوارع بأسماء الشهداء والأبطال الثوريين لها تأثيراتها المرجعية والتاريخية المرتبطة أساسا بالثورة الجزائرية لكونها رمزا من رموز المقاومة الشعبية والنصر والحرية في المجتمع الجزائري.

خاتمة:

في الدراسة الطوبونيمية يعد ايجاد وبناء الحقيقة الأساسية لمعرفة أصل تسمية مكان ما ليس بالأمر السهل، ومن المحتمل أنها لا تكمل بشكل مرضي، ففي بعض الحالات تكون معتمدة بأحد الأدلة في القصص والأمثال، والأدب المقدس الذي يعمل على توثيق معنى الطوبونيم وايحاء الفضاء الشفهي والمصادر الشفوية التي ولدته؛ لكن هذه العملية لا تعتبر دائما أكيدة، بل تكون كإعطاء فرصة لأشياء غير منتظرة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وبينما هناك نصوص تبقى نهايتها غير كاملة، فإن الدليل الثقافي المرسخ هو متعدد الأشكال وتوجد دائما نهايات غامضة تولد قصصا، والقصص تعود على ألقاب والألقاب تعود على طوبونيمات.

قائمة المراجع:

- **العربية:**

1- ابن خلدون عبد الرحمان (1981).كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (ط1). المجلد 6. لبنان: دار الكتاب اللبناني.

2- ابن خلدون يحي (1980). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تحقيق د.عبد الحميد حاجيات. الجزائر: المكتبة الوطنية.

3- ابن مريم الشريف المليتي (1908) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر :مطبعة الثعالبية.

4- الحاج محمد بن رمضان شاوش(1995). باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

5- العشماوي (1961). كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب، كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت، ج4. الجزائر: مطبعة ابن خلدون.

6- المقري أحمد بن محمد التلمساني (1997). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، المجلد الأول، تحقيق الدكتور إحسان عباس. بيروت، لبنان: دار صادر للطباعة والنشر.

7- حسين فارسي (2005). حياة أبي مدين. وهران: الجزائر. دار الغرب للنشر والتوزيع.

8- عبد الحميد بورايو (2007)، الأدب الشعبي الجزائري. دار القصبة للنشر.

9- عبد الرحمان بوزيدة (2005) – قاموس الأساطير الجزائرية– منشورات CRASC.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

10- محمد حسن عبد الحافظ، (2008)، سيرة بني هلال، الشفهية ودرس الاختلاف، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، العدد79 ،80).

11- دليل إداري خاص بتسمية الشوارع والأحياء والأماكن العمومية بمدينة تلمسان (د.ت.). دائرة تلمسان، ومصلحة الثقافة.

➢ **الأجنبية:**

12- Abbé Jean Joseph Léandre Bargès. (1884).La vie du célèbre marabout cidi Abou Médian. Paris. Ernest Leroux,
13- Alfred Bel, (1938) Tlemcen et ses environs, Attirait et vie, seconde édition, Toulouse.
14- Atoui Brahim. (2005).Toponymie et espace en Algérie. Alger : institut national de cartographie.
15- Bosselard. CH. (1860).Revue Africaine, Traus Reprint vol : 04.
16- Corneille Trumelet-(1892) -l'Algérie légendaire, en pèlerinage çà et là, aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam (Tell et Sahara), Augustin Challamel, Paris.
17- Emile Dermenghem. (1954). Le culte des saints dans l'islam maghrébin. France : imprimerie flocs Mayenne.
18- Farid Benramdane. (2008).Thèse de magistère-Toponymie de l'Ouest algérien, origine, évolution et transcription-tome1.
19- Farid Benramdane et Brahim Atoui. (2005). Nomination et Dénomination. Oran : édition cracs.
20- Foudil Benabadji. (2003) -Tlemcen dans l'histoire à travers contes et légendes- Préface de Mohammed DIB- Editions Publisud, Paris.
21- Foudil Cheriguen. (1993)-Toponymie Algérienne des lieux habités, Alger. SCRIBE, editions.
22- Francis Llavador. (1948). Nemours Djemaa Ghazaouet. Alger : imprimerie la typo – litho.
23- Gaspar J, Cuesta Estévez. El pueblo y los nombres de lugar**:** La etimología popular. Aljaranda, [S.l.], n. 16, p. 21-24, nov. 2014.
24- George Marçais (1950). Les Villes d'art célèbre, Tlemcen. Librairie Reynouard H. Laurens,

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

25- Hassaine Daouadji Dalila. (2001).Sur les traces de Lalla Setti la sainte de Tlemcen. Alger : Editions assabil.
26- Louis Abadie, (1994) Tlemcen au passé retrouvé, éditions Jacques Gandini.
27- Martínez Ezquerro, A., Martos García, A. (2018). Etimologia popular, toponomàstica y paisaje leyendistico. E.O. Arjonilla (Ed).
28- Naftali Kadmon, (1997) - Groupe de travail sur la terminologie toponymique, Groupe d'experts des Nations Unies pour les noms géographiques. Presses de l'université Laval.
29- Riesco Chueca Pascual, (2012). Toponimia y oralidad : una relacion de influencias cruzadas. Revista de Folklore, 366 : 55-85.

الروايات الشفوية:

- السيدة عشماوي غيتة، البالغة من العمر 80 سنة، روايات مسجلة بمنزلها بمغنية يوم 2017/02/05.